

نظرة إلى مستقبل العولمة

د. تريكي أحمد

جامعة طاهري محمد بشار

Trikiahmed506@yahoo.com

الملخص:

قد تتغلب العولمة على القضايا والحواجز التي تخلق الانقسام والصراع والظلم، أو قد تترك وتعتقد عالمًا لا يزال يشعر بالريبة تجاه مخاطر العولمة، ولا يدرك إمكانياتها. هذا لأن العولمة أدت إلى تحول كثير من المفاهيم كالاستقلال والسياسة... وتدخلت في مجال الثقافة من أجل إخراج شكل ونمط ثقافي جديد وحيد مهيمن بهدف إرساء ثقافة العولمة. وفي المقابل هناك خصوصيات ثقافية وأقليات وهويات ثانوية انبعثت وانتعشت، مما يؤدي ليس إلى صراع مع العولمة فقط وإنما صراع داخل المجتمعات نفسها. وبالتالي تتعرض العولمة في هذه الحالة إلى مخاطر خصوصاً وأن هناك شعوباً فقيرة يجعلها وضعها تسخط وتهدم بالتأكيد البنية، لأن ليس لديها ما تخسره. وهذا ما سنحاول عرضه في هذه الورقة البحثية.

Summary:

Globalization may overcome the issues and barriers that create division, conflict and injustice, or it may confuse and complicate a world that is still suspicious of the dangers of globalization and does not realize its potential. This is because globalization has led to the transformation of many concepts such as independence and politics ... and have intervened in the field of culture in order to produce a new and unique cultural form and pattern in order to establish a culture of globalization.

On the other hand, there are cultural peculiarities, minorities and secondary identities that have emerged and rebounded, leading not only to conflict with globalization but also conflict within the societies themselves. In this case, globalization is in danger, especially since there are poor people who make it unstable and destroy the structure, because it has nothing to lose. This is what we will try to present in this paper.

من بين كل سكان الأرض هناك قلة قليلة فقط مطلعة على الثقافات الأخرى. فلا تزال حواجز اللغة قائمة، وكثيراً ما تؤدي الاختلافات إلى النزاع، والمنافسة على موارد شائعة، ابتداءً من أرض دولة ما إلى الأيديولوجيا إلى رأس المال إلى الطاقة. وفي الوقت نفسه هناك سلام وأمن، يستطيع عدد أكبر من الناس الوصول إلى الخدمات الأساسية، وأصبح متوسط العمر المتوقع أعلى من أي وقت مضى. لكننا نعيش في عالم منقسم بطرق عديدة.

قد تتغلب العولمة على القضايا والحواجز التي تخلق الانقسام والصراع والظلم، أو قد تترك وتعتقد عالمًا لا يزال يشعر بالريبة تجاه مخاطر العولمة، ولا يدرك إمكانياتها.

ومن هذا التصور البسيط سوف نحاول في هذا المقال أن نجيب على التساؤلين الآتيين :

1 - هل ستسبب العولمة تصادم ثقافات ومعركة من أجل المستقبل؟

2 - هل سيسعى الطغاة والمجرمون والمتطرفون والإرهابيون لاختطاف العولمة عندما ينمو

التعاون بين الأمم؟

أولاً : مفهوم العولمة وماهيتها.

يرى الكثير من المنظرين أن العولمة ما هي إلا مرحلة تاريخية مثل مراحل تاريخية كثيرة سابقة. وهي في نظرهم تبدأ بشكل عام منذ بداية ما عُرف بسياسة الوفاق التي سادت في الستينات من القرن الماضي بين القطبين المتصارعين في النظام الدولي آنذاك إلى أن انتهى هذا الصراع الذي يرمز له انهيار حائط برلين الشهير ونهاية الحرب الباردة. ويقوم هذا التعريف على الزمن باعتباره العنصر الحاسم... فالعولمة في نظر أصحاب هذا الرأي هي المرحلة التي تعقب الحرب الباردة من الناحية التاريخية، ومصطلح العولمة مثله مثل مصطلح الحرب الباردة الذي سبقه يؤدي دوره كحد زمني لوصف سياق تحدث فيه الأحداث كأن يقال مثلاً أننا نعيش في عصر العولمة لتبرير أو فهم سياسات معينة اقتصادية أو سياسية أو ثقافية... وهي وفق هذا التعريف يمكن اعتبارها حقبة تاريخية أكثر منها نظاماً سياسياً.⁽¹⁾

فالعولمة بهذا المعنى مجرد حقبة تاريخية وأنها (العولمة) ليست إلا مجرد اصطلاح للدلالة على هذه الحقبة التاريخية التي ستمضي مثل حقبة تاريخية سميت بأسماء عديدة.

ومن ثم يبدو أن مفهوم العولمة مجالاً ثرياً، باعتباره يحدد التجربة الإنسانية الحديثة، ويوصفه لا يقف عند حد المجال السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي أو الإعلامي الذي يسيطر عليه العالم المتقدم. فنحن إذاً أمام مرحلة تاريخية جديدة، بسمات وملامح جديدة، مرحلة تصوغ واقع حياة الشعوب المستضعفة من جديد، وفق رؤية العالم الغربي المتقدم وأهدافه. مرحلة تعقد العلاقات وانكماش المسافات بين المجتمعات، انكماش لم يكن ممكناً في ظل حواجز الهوية الثقافية.

فالعولمة في الصيغة المصرفية عولمة على وزن "فوعلة" يبدو أنها تشير إلى عملية منجزة باستمرار وبشكل آلي، وبنوع من التطوع، والإخضاع، والإجبار. ومن هنا تكون العولمة هي القهر والقسر الهادفين إلى نشر نموذج أو نمط معين ثقافياً أو سياسياً أو اقتصادياً قهراً واجباراً لا تخالطهما فرص للاختيار الحر.⁽²⁾

ودعماً لما سبق ذكره نقدم التعريف الذي قدمه هورشمان ومارشال للعولمة باعتبارها، "اندماج أسواق العالم في حقول التجارة، والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن اطار من رأسمالية حرية الأسواق، وخضوع العالم لقوى السوق العالمية تبعاً لذلك، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة."⁽³⁾ يشير هذا التعريف بشكل مباشر وواضح إلى نتائج العولمة المتمثلة في اختراق الحدود فلم يعد بمقدور الدولة أن تمنع الاختراق الذي يؤدي إلى انحسار سيادتها على أراضيها وشعبها.

يبدو أن هناك العشرات من التعريفات التي تتسم بالشمولية والدقة والخصر، لكن مهما كان الأمر بالنسبة للتعريف، ومدى دقته وشموليته، فإن الأمر المفروغ منه الآن هو أن هناك أكثر من عولمة واحدة. ففي المقام الأول هناك العولمة الاقتصادية التي تبدو أكثر وضوحاً من الجوانب الأخرى للعولمة. وتشير العولمة الاقتصادية إلى بروز عالم بلا حدود اقتصادية حيث أصبح النشاط الاقتصادي يتم على الصعيد العالمي وعبر شركات عابرة للقارات، والتي لا تخضع نشاطاتها للرقابة الحدودية التقليدية، وتدير جميع عملياتها الإنتاجية بمعزل عن الدول. ثم إن هناك العولمة الثقافية التي هي البعد الأكثر غموضاً من الأبعاد المختلفة للعولمة. وتشير العولمة الثقافية إلى بروز عالم بلا حدود ثقافية حيث تنتقل الأفكار والمعلومات والأخبار والاتجاهات القيمية والسلوكية بحرية كاملة على الصعيد العالمي، وبأقل قدر من

التدخل من قبل الدولة. ثم إن هناك أخيراً العولمة السياسية التي هي أكثر مجالات العولمة إثارة للجدل. وتشير العولمة السياسية إلى تراجع أهمية الدولة، و بروز مراكز قرار جديدة للقرارات السياسية العالمية، في الوقت الذي تتجه فيه الدول للتخلي الطوعي أو الاضطراري عن مظاهر السيادة التقليدية.⁽⁴⁾

وبناءً على ما سبق تحوّل مفهوم الاستقلال، وتشابك العالم بمجموعة من الارتباطات بين الدول. وتغير مفهوم السيادة التقليدي فأصبح صندوق النقد الدولي يفرض قرارات على الدول، خاصة دول العالم الثالث، من تخفيض للنفقات العمومية وخصوصة التعليم والصحة وغيرها من الضغوطات التي تمارسها المؤسسات الدولية على الدول، مما يبين باللموس أن مفهوم السيادة قد غيرته العولمة. ثانياً: العولمة والخصوصيات الثقافية.

تمثل علاقة العولمة بالثقافة أعقد وأخطر أشكال العلاقة بين هذا التيار وباقي المجالات الأخرى، سياسية واقتصادية وغيرها. ذلك لأن الثقافة هي البعد الحيوي المؤطر والموجه لكل مجالات الحياة. ويتدخل العولمة في هذا المجال فإنها تحاول إخراج شكل ونمط ثقافي جديد وحيد مهيمن يتحدد فيه مركز ثابت ودائم وأطراف وهوامش قارة، يقدم تفسيراته لكل الظواهر الإنسانية والكونية، وينفي ويستبعد كل تفسير مغاير. ومن ثم تظهر ثقافة العولمة التي يعمل أهلها بجد على تحقيق مساهمهم. في هكذا حالة، فما هو دور الثقافات الأخرى أي الخصوصيات المحلية؟ وكيف تعمل على مقاومة هذا الطوفان الهادر كماً ونوعاً؟ هذا لأن المقصود بثقافة العولمة هنا هو أنها إطار معرفي يجعل النظام الرأسمالي مقبولاً من سائر الشعوب، ولا يكون في هذه الحالة في صورة ظاهرة تتمثل في إخضاع عقل هذه الشعوب لتقبل النظام الرأسمالي فحسب، بل إعلاناً للتكيف من قبل مفكرين استراتيجيين مخططين لوضع دعائم فكر بعينه ييسر تقبل فكر الانخراط في حركة الرأسمال وسيورته كما يحلو للغرب أن يسيره.⁽⁵⁾

إلا أن الخصوصيات الثقافية، تحول بلا شك، دون انخراط كافة الهويات والشعوب في بوتقة ثقافية واحدة، بل هناك انبعاث ثقافات متعددة وانتعاش ثقافات جديدة، حيث انتبهت الأقليات والهويات الثانوية إلى خصوصياتها الثقافية وتاريخها الفريد، ولم تسلم حتى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها من تأثير هذا الانتعاش الذي هز مشاعر الأقليات وكانت

النتيجة تنازلها عن أهم قواعد فكرها السياسي الذي كان يرمي إلى صهر الهويات والأقليات في بوتقة الهوية الأمريكية، وبمعنى آخر، يمكن القول أن العولمة ستؤدي إلى مزيد من التمسك والالتزام بالثقافات الأصلية.⁽⁶⁾ ولكنها ستؤدي في نفس الوقت إلى إبراز تناقضات اجتماعية يمكن أن تؤدي إلى ثورات طائفية وعرقية وصراعات ومواجهات بين أبناء الوطن الواحد وإيقاظ نزعة التمرد لدى الأقليات، فهي تسعى إلى توحيد نمط حياة الشعوب توقظ روح الهوية لديها، وهنا تكمن الخطورة لأنه يمكن توظيف هذا التمرد والثورة لتهديم البناء الاجتماعي للمجتمعات، ويمكن اعتبار الجزائر من النماذج في هذا المجال.

فهذه العلاقة، ثقافة- عولمة يشوبها صراع وتصادم المفهومين، حيث تطارد العولمة الهوية الثقافية للشعوب مطاردة مستميتة، بغية اختراق الذهنيات، إلى تبعية فكرية، أكثر عمقاً من التبعية الاقتصادية. والغرض من هذا هو الإمساك بزمام العقل الذي تنقاد وراءه العوالم الأخرى.

ثالثاً: مستقبل العولمة.

من أكثر التحديات التي يواجهها العالم هناك مقاومة التغيرات التي قد تجعل العولمة قوة منتجة. تقوم تلك المقاومة على أساس أن العولمة تعرضنا لأخطار، كالأوبئة والجريمة العالمية والمخدرات والأسلحة والإرهاب. وتوجد هذه المقاومة إلى حد بعيد في البلدان الفقيرة حيث ينتشر الفساد.

صحيح هناك عوامل إيجابية للعولمة ولكن، إذا لم يتم الاهتمام بشدة بمخاطرها، فقد يتضرر المستقبل خصوصاً إذا استغلت تلك الدول الفقيرة، كما هو الحال في الوقت الراهن. فإذا تأملنا تاريخ المساعدات العالمية للعالم النامي، فإن النتائج ستكون خليطاً من الإيجابيات والسلبيات. لقد حققت الوكالات الدولية مثل البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، والأمم المتحدة، على سبيل المثال لا الحصر، تقدماً. ولكن تظل المهمة عسيرة والوقت يمر والمشاكل في تزايد، وبالتالي هذا معناه أن تلك المساعدات لم تنجح. فالدول النامية تعاني من تلك المشاكل ابتداءً من انعدام الأمن إلى نقص المياه النقية، نقص الغذاء والإسكان والنقل والصحة والتعليم والنظام المصرفي والصرف الصحي والتجارة والخدمات الأساسية.

وبالتالي فإنه بدون إقامة هذه الأمور الأساسية للحياة فإنه من الصعب أن تنضم الدول النامية إلى ركب العولمة. وتصبح شعوبها ساخطة محرومة وبالتالي تجد لها طريقة لهدم البيت، إن كنت لا تملك شيئاً، فلن يكون لديك إذن ما تخسره. إذا لم يكن لديك أي مستقبل ممكن، فلن تهتم بالحاضر، وينتج عنه عنف غير مسبوق. وإذا حدث عدم الاستقرار العالمي فإن ذلك يصب في مصلحة الإرهاب الذي يسهلُ أمامه تجنيد مجندين جدد في البلدان الفقيرة، وجمع أموال عبر أعمال إجرامية مثل تجارة المخدرات، وارتكاب أعمال إرهابية باسم أولئك الذين أهملوا وتركوا خارج لعبة العولمة. وفي هذه الحالة ستفشل العولمة. لأن أخطر الناس اليوم في العالم هم من لا مستقبل لهم، سيفعلون أي شيء للحصول على مستقبل أو تحطيم أولئك الناس الذين يعتقدون أنهم سرقوا منهم ذلك المستقبل.

فالتعامل ضمن العولمة مع المستقبل حيث عالم متقدم كبير في السن (مسن) وعالم ثالث نامي شاب، وفي ظل حقيقة ديموغرافية واضحة حيث يكون العالم المتقدم الغني، مسناً، وعالم نامي فقير تزداد فيه الخصوبة ينتج مليارات من الشباب. ويسيطر العالم المتقدم المسن (أمريكا، أوروبا واليابان) على معظم الأصول المالية في العالم. وفي الطرف الآخر للعالم المتمتع بالشباب، يولد أغلب الناس في الفقر. إنها موجة المد التي ستحرق المستقبل المزدهر المحتمل للعولمة إذا لم يتم تحضير استراتيجية للتعامل مع هذه الحقيقة الديموغرافية فيه.

والياً يوجد أكثر من أربعة مليار فقير على سطح الأرض، فهل يمثل ذلك سوقاً للمنتجات الغريبة، أم هو تجمع للإرهابيين المحتملين الذين سيحرقون مدن العالم المتقدم. فلنا أن نتخيل، لما يصل عدد سكان العالم خلال ثلاثة عقود إلى تسعة مليارات. فلنتذكر، عالمان وحل واحد.

وهكذا يتضح أن قد بات واضحاً إلى حد كبير، حجم الأخطار التي تضررها العولمة في بعدها الاقتصادي المتمثل في إضعاف القدرة التنافسية للدول المتخلفة، والسائرة في طريق النمو، بإغراق أسواقها وتوريطها في إطار "الما فوق وطني" في اقتصاد السوق. بحيث لا تتفاعل في إطاره بما ينفعها ويقويها، نظراً للقدرة التنافسية التي تتمتع بها دول الغرب المتقدمة، وتوحيد رأسمال العالم.⁽⁷⁾

فعالم اليوم تتضح - إذن - فيه صورة القوي الذي يفرض رأيه على معظم الحياة في العالم، ويهدد دائماً باستعمال القوة، بل واستعمالها في كثير من المناطق. والثاني الضعيف سوف يسعى بضعفه إلى السلم والحوار.

الخاتمة:

لا يتوقف تطلع الإنسان إلى المستقبل، كما أن التوقعات والتقارير والدراسات حول مستقبل العولة لا تتوقف لأن الإنسان دائماً في بحث عن أفضل حياة على كوكب الأرض. وبالتالي فالعولة قد تشكل ثقافة عالمية تحمل خصائص مشتركة دون صراع بين الثقافات، أي تشكل علاقات تكاملية وجدلية تتبادل التأثير والتأثر، خصوصاً إذا تسابقت نحو الارتقاء بالجوانب الأخلاقية.

لذلك لا يجب النظر إلى القضية من زاوية ضيقة، سواء التفاؤلية أو التشاؤمية، وإنما وضع القضية في إطارها الواقعي الصحيح لأنها أمر واقع. وبالتالي فالمشكلة ليست في مقاومة العولة ولكن كيف نعيش في ظلها بواقعية مع المحافظة على الذات والإقرار بالتنوع الذي يعد ثروة حقيقية تثري البشرية بالمزيد من الخيارات في المستقبل.

قائمة المراجع:

- 1 - السيد ياسين، العولة والطريق الثالث، نشرة مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1996، ص - ص. 92 - 932 - السيد أحمد فرج، العولة والإسلام والعرب، دار الوفاء، المنصورة - مصر، ط1، 2004، ص. 39.
- 3 - الأطرش، العرب والعولة، مجلة المستقبل، العدد 229، سنة 1998، ص. 101.
- 4 - عبد الخالق عبد الله، العولة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مجلة عالم الفكر، العدد 2، أكتوبر - ديسمبر، 1999، الكويت، ص - ص. 54 - 55.
- 5 - السيد أحمد فرج، العولة والإسلام والعرب، دار الوفاء، المنصورة - مصر، ط1، 2004، ص. 39.
- 6 - نور الدين زمام، عولة الثقافة (المستحيل والممكن)، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2001، ص. 143.
- 7 - محمد الغربي، تحديات العولة وأثارها على العالم العربي، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، العدد 6، ص. 27.